موقف أهل شمال فلسطين من نهاية الدولة العثمانية وبداية الاحتلال البريطاني

محسن محمد صالح

تصف الدراسة مشاعر سكان شمال فلسطين وهم يرون نهاية الدولة العثمانية ويستقبلون بداية الاحتلال البريطاني، من خلال دراسة وثائق الاستخبارات العسكرية البريطانية المحفوظة في ملفات وزارة الحرب وتلك الموجودة في مكتب السجلات العامة في لندن. فتصف مواقف أهل شمال فلسطين ومشاعرهم، والمعلومات عن مخاتير ووجهاء القرى ومواقفهم المحتملة، وتنظر في العوامل المؤثرة في مواقف الناس ومشاعرهم.

محسن محمد صالح*

موقف أهل شمال فلسطين
من نهاية الدولة العثمانية
وبداية الاحتلال البريطاني

مقدمة

احتلت القوات البريطانية المناطق التابعة لسنجق بيت المقدس – بحسب التقسيم الإداري العثماني – في إثر الحملة العسكرية التي قادها الجنرال أللنبي (Allenby) في الفترة تشرين الأول/أكتوبر – كانون الأول/ديسمبر 1917، وانتهت أهم مراحلها باحتلال القدس في 9 كانون الأول/ديسمبر 1917.(1)

وتغطي الدراسة التي نحن بصددها العام الأخير من الحرب العالمية الأولى، أو الفترة بين احتلال سنجق بيت المقدس وبين بدء الحملة الثانية الكبرى للقوات البريطانية لاحتلال باقي شمال فلسطين وسورية والأردن ولبنان، والتي بدأت في منتصف أيلول/سبتمبر 1918، وانتهت في آخر تشرين الأول/ أكتوبر 1918.(2)

تُرى، كيف كانت مشاعر سكان شمال فلسطين وهم يرون نهاية الدولة العثمانية التي أَلِفوها خلال القرون الأربعة الماضية، وكيف استقبلوا بداية الاحتلال البريطاني؟ لقد أشار بعض الكتابات إلى جانب من مواقف السكان ومشاعرهم في تلك الفترة، وإن لم تفرد لها مباحث خاصة. فمثلاً، تحدث كامل خلة عنها مستنداً إلى الصحف والمجلات العربية المنشورة في تلك الفترة.(3) كما أن دورين إنغرامز (D. Ingrams) أشارت إلى شيء من ذلك من خلال التركيز على وثائق الخارجية البريطانية.(4) أمّا في هذا المقال فسنسلط الضوء على الموضوع من خلال دراسة وثائق الاستخبارات العسكرية البريطانية المحفوظة في ملفات وزارة الحرب البريطانية (War Office/W.O.)، وتلك الموجودة في دار الوثائق البريطانية في لندن (Public Record Office/P.R.O.). وتنبع أهمية هذه الوثائق من أنها كانت تكتب في شكل تقارير يومية، مترافقة مع نشاطات الجيش البريطاني الذي كان يقوم بعمليات احتلال فلسطين في تلك الفترة؛ وبالتالي أمكن لها أن تعايش الأحداث، وأن توفر تفصيلات تفتقر إليها المصادر الأُخرى. وعلى الرغم من أن هذه التقارير تتحدث عن موضوعات شتى، فإننا نستطيع أن نجد في ثناياها إشارات وأخباراً ومواقف متنوعة تتعلق بالموضوع الذي نقوم بدراسته.

على أنه يجب التنبه على أن هذه التقارير لا تعكس دائماً وبدقة مشاعر الناس ومواقفهم، وإنما تعكس في أحيان كثيرة الرؤية البريطانية للأمور، أو الصورة التي أرادت الاستخبارات أن تظهرها، أو الشعور الذي ذكره الناس للبريطانيين أو عملائهم، وهو شعور يحتمل المجاملة أو المبالغة،

وخصوصاً في ظروف الحرب وعدم الاستقرار. لكنها – في أية حال – تتضمن كثيراً من الصحة، وتضيء إحدى زوايا الموضوع، لتتكامل من خلال الدراسة النقدية المقارنة مع الزوايا التي سبق أن أضاءتها المصادر الأُخرى.

تنقسم هذه الدراسة قسمين:

الأول: مواقف أهل شمال فلسطين ومشاعرهم. وهو يشتمل على قراءة وصفية مسحية لمواقف مختلف المناطق.

الثاني: العوامل التي أثرت في مواقف الناس ومشاعرهم. وفيه سنحاول استنباط هذه العوامل من الأحداث والمواقف التي عكستها هذه التقارير. وهي طبعاً عوامل لم تشر إليها التقارير بشكل مرتب أو منفصل، وإنما اجتهدنا فيها من خلال مطالعة النصوص واستقرائها ومقارنتها.

أولاً: مواقف أهل

شمال فلسطين ومشاعرهم

أول ما تجب الإشارة إليه هو أننا ندرس فترة تحول، تعكس أوضاعاً قلقة غير مستقرة، وتناوشت الناس ومشاعرهم فيها ظروف متقلبة، وأحداث متسارعة، وعوامل شد وجذب متعددة. فالحرب ما زالت قائمة ولم تحسم نتيجتها بعد. وظِلُّ الدولة العثمانية لا يزال موجوداً في معظم بلاد الشام، والقوات البريطانية لم تكن كسبت عملياً سوى جنوب ووسط فلسطين (سنجق بيت المقدس). وفي الوقت الذي كانت "شائعات" الاتفاقات البريطانية – الفرنسية، والعهود البريطانية للصهيونية، تثير المخاوف والرعب بغدٍ مظلم، كانت أخبار التحالف البريطاني مع الثورة العربية تثير الآمال الكبار بمستقبل مشرق.

وعلى ذلك فمن المهم التنبيه إلى أن ما تذكره التقارير البريطانية من ترحيب متوقع بالبريطانيين، أو تأييدهم، لا يعني إطلاقاً حالة من اللاوطنية أو القبول بالاستعمار، وإنما يعكس، في الأساس، تلك الآمال بدولة عربية أو خلافة إسلامية بزعامة الشريف حسين، تحل محل الحكم التركي الذي كان كثيرون يعدونه فاسداً، وخصوصاً بعد سيطرة جماعة "الاتحاد والترقي" عليه. لذلك فإن ورود مواقف في هذه الدراسة لأشخاص أو عائلات أو قرى ومدن، يجب أن يؤخذ في هذا السياق، مع احترامنا وتقديرنا لكل اسم يرد في هذه الدراسة.

في آذار/مارس 1918، أعدت الاستخبارات العسكرية البريطانية أهم تقرير لها عن الأوضاع الاقتصادية والسياسية في شمال فلسطين.(5) يتناول هذا التقرير أوضاع مئة مدينة وقرية، ويتضمن جدولاً، من 10 صفحات، باسم كل قرية وعدد سكانها وسلوكها المتوقع تجاه البريطانيين وأوضاعها التموينية، مع بعض الملاحظات العامة إن وجدت. ومن خلال استقرائنا للجدول لاحظنا أن الاستخبارات العسكرية البريطانية توقعت أن يكون سلوك 78 مدينة وقرية سلوكاً إيجابياً، فأعطى صفة السلوك الودي (Friendly) لـ 75 منها، مثل مدينتي حيفا والناصرة، وقرى عيلبون وعنبتا وعرعرة وعتيل وبرقة وحوارة وكفر كنّا وقلنسوة وسلفيت والطيرة وزيتا... وغيرها. وتوقع أن يكون سلوك بيسان وبنت أم جبيل* ودياً بشكل مقبول (Fairly friendly). أمّا قرية كفر ياسيف فكانت الوحيدة التي توقع التقرير منها سلوكاً ودياً جداً (Very friendly). ووصف سكان قرية أندور بأنهم محافظون ولا يتوقع منهم سلوكاً ودياً جداً (Not very friendly). أمّا مدينة جنين فتوقَّع أن يكون سلوك أهلها مختلطاً (Mixed).

وتوقع التقرير سلوكاً معادياً من 12 مدينة وقرية، فوصف سلوك سبعة منها بأنه معاد (Hostile)، وهي: عكا، وعرابة، ويارون، وكفر مندة، وكفر كنّا، وعرابة البطوف، وعناتا. ووصف سلوك أهل كفر سابا في الجدول بأنه غير ودي (Unfriendly)، في حين وصفه في موضع آخر بأنه معاد. ووصف سلوك أهل لوبية بأنه معاد وخطر (Hostile & dangerous)، وأهل سبسطية بأنهم متعصبون ومعادون (Fanatical & hostile)، وأهل صفورية بأنهم مسلمون متعصبون

(Moslems fanatical)، أمّا قلقيلية فوصف سلوك أهلها بأنه غير ودي وغير مبال (Unfriendly & unwilling).(6)

بالإضافة إلى ذلك، لم يتوقع التقرير سلوكاً محدداً (Uncertain) من قرى الحارثية ونحف وشعب والشيخ بريك. ووصف سلوك أهل طبرية والعفولة بأنه مشكوك فيه (Doubtful)، وهناك قرية وحيدة أعطاها صفة السلوك المحايد (Neutral) هي عالوت**.(7)

ومما يلفت النظر أن التقرير أدرج في جدوله مدينتي يافا وبيت لحم، على الرغم من أنهما كانتا تحت الاحتلال البريطاني بخلاف باقي المدن والقرى التي تعرض لها، في حين لم يدرج مدينة نابلس وإنما أفرد لها تقريراً خاصاً. في المقابل، أهمل مدينة مهمة في شمال فلسطين هي صفد، مثلما أهمل عشرات القرى الأُخرى. ولعل التقرير رأى في تقديم صورة محددة لنحو مئة مدينة وقرية أمراً كافياً لتقويم الوضع، وربما حالت أسباب فنية لوجستية دون تحصيل معلومات أُخرى.

يضيف التقرير أنه يتوقع بصورة عامة سلوكاً ودياً من السكان تجاه البريطانيين، لكنه يستدرك أنه ربما كان أفضل تعبير عن مشاعرهم الحقيقية هو المثل العربي القائل "أنا وأخي على ابن عمي، وأنا وابن عمي على الغريب."(8) أي أن التقرير يعترف بأن السلوك الودي لا يعبر بالضرورة عن المشاعر الحقيقية، ولا يعني بالضرورة حباً حقيقياً. بل لعله يعترف ضمنياً بأن أهل شمال فلسطين أقرب نفسياً إلى الأتراك منهم إلى البريطانيين.

أولى التقرير نابلس اهتماماً خاصاً فتحدث عنها في ثلاث صفحات تقريباً، وقدر عدد سكانها بنحو 25.000 نسمة. وأورد أن رئيس نقابة التجار هو بدوي عاشور، وهو مؤيد للأتراك، واعتبر أصحاب الأسماء التالية خطرين ومؤيدين للأتراك: الشيخ رأفت؛ شكور جوهري؛ أحمد الشكعة؛ محمود تهليوني؛ عائلة عبد الكريم اليوسف؛ عائلة طوقان (وأهم أفرادها بشير بك طوقان الذي يسيطر على قرى زواتا وكفل حارث ودير شرف وطلوزة)؛ عائلة عاشور (باستثناء يوسف عاشور) وهي تسيطر على قرية بيت إيبا؛ حيدر اليوسف الذي يسيطر على قرية بورين؛ عائلة الفاهوم؛ عائلة عباس؛ عائلة أبو حمد.(9)

وذكر التقرير مجموعة من الشخصيات والعائلات التي توقع أن تؤيد البريطانيين، وأن تقدم لهم المساعدة. وتأييد البريطانيين هنا لا يُفهم منه أكثر من أنه معاداة للأتراك وتأييد للثورة العربية، كما أشرنا سابقاً. وممن ذكرهم التقرير: الحاج طاهر حجاوي؛ شافع عبد الهادي، وهو يتحكم في قرى عورتا وسبسطية وبيت أمرين؛ الشيخ نمر الداري، وهو يسيطر على قرية صرة، وقد وصفه التقرير بالذكاء لكنه في المقابل عده غير جدير بالثقة؛ الشيخ سعيد حيان وأولاده الذين يتحكمون في قرية رفيديا. ولفت التقرير النظر إلى أن عائلة عبد الهادي هي الأكثر أهمية وسط ملاّك منطقة نابلس، وأن أفرادها يتميزون بالذكاء الشديد وعدم التعصب، لكنه ادعى أنهم ظالمون جداً للفلاحين الذين يخافونهم ولا يحبونهم. ومن جهة أُخرى، تحدث عن عمر زعيتر فوصفه بأنه يعادي الأتراك بقوة لكن سراً، وإنه استفاد بصورة كبيرة من الفرص المتاحة لإثراء نفسه فأصبح ذا نفوذ واسع.(10) أمّا العناصر التالية فيتوقع التقرير أن تسلك سلوكاً محايداً وهي: عائلة النابلسي (التي تتحكم في قرية حوارة)؛ عائلة كمال (التي تتحكم في قرية عينبوس)؛ توفيق حماد الذي انتخب في السابق ممثلاً لنابلس.(11)

وتحدث التقرير عن حيفا فأورد أن عدد سكانها يبلغ 25.000 نسمة، ثلثهم مسلمون، وأن العائلات التالية هي عائلات مسيحية صديقة للبريطانيين: الخوري؛ أبيض؛ صيقبي*؛ فخر؛ بكوس. وتحدث عن عبد الله حمودة فقال إنه محام ومالك أراض ذو نفوذ، ومعاد للأتراك. وذكر أن مسعود الماضي ذو نفوذ عظيم، ومعاد للأتراك. وأضاف أن عائلة الماضي هي من إجزم قرب حيفا، وأنها عائلة ذات تأثير، وأفرادها كلهم معادون للأتراك ومؤيدون للبريطانيين. أمّا فوزي ابن صادق باشا فوصفه بأنه قاطع طريق كبير، وبأنه يدير عصابة من مئة شخص، لكنه ذو شخصية ذكية جذابة، ومؤيد

جداً للبريطانيين.(12) ونقل تقرير آخر عن عربي من حيفا أُسر في 10 نيسان/أبريل 1918 أن طبقات حيفا كلها تنتظر البريطانيين بشوق، وأن شريف مكة يتمتع بالشعبية كمدافع عن الحقوق العربية في مواجهة الأتراك.(13)
ونقلت تقارير الاستخبارات عن ضابط عربي أسير أن شعبية الأتراك في جنين ضعيفة جداً، إذ إن الأخ الشقيق لباشا جنين أعدم بسبب ميوله المؤيدة للبريطانيين (يقصد إعدام سليم عبد الهادي). كما نقلت عن أحد اللاجئين من قرية الطيبة أن لدى العرب في تلك المنطقة الكثير من الأسلحة والعتاد المخبأ، وهم ينتظرون السيطرة على السلط كي يدخلوا بصورة فعالة الحرب ضد الأتراك.(14)
من جهة أُخرى، قدّم المؤرخ الفلسطيني إحسان النمر صورة مختلفة إلى حد ما، وإن كانت غير مفصلة، للوضع في لواء نابلس في تلك الفترة، إذ عايش بنفسه تلك الأحداث. فقال إن الأتراك بعد أن شعروا بخطئهم في التعامل مع العرب نقلوا جمال باشا السفاح إلى القوقاس، وتخلوا عن الكلمات القذرة المسيئة للعرب، ودعوا وجهاء نابلس إلى الاجتماع بالقائد فوزي باشا الذي أطلعهم على نيات الحلفاء وطلب منهم تجديد الحماسة للجهاد فوافقوه، وخرجت التظاهرات المؤيدة لذلك، وصار يجتمع إلى وجهاء وعلماء نابلس ويلبي طلباتهم. وأضاف أن القادة الأتراك جمعوا الناس في الجامع الكبير، وأعلموهم بوعد بلفور واتفاقية سايكس – بيكو وخطط الحلفاء "فَلانَ الناس وصاروا يتعاونون مع الجيش والحكومة." (15) وكانت الدولة العثمانية عينت جمال باشا الصغير مكان جمال باشا السفاح في أوائل سنة 1918، وقد مدحه خليل السكاكيني في مذكراته مشيراً إلى عفوه عن الشيخ سعيد الكرمي مفتي طولكرم، وعن حسن حماد من رجالات نابلس، اللذين كان صدر بحقهما حكم بالإعدام، فكتب في 19 آذار/مارس 1918: "بمثل جمال باشا، الصغير في اسمه الكبير في مروءته وشخصيته، تبنى الممالك وتحيا الأمم وتمتلك القلوب." (16) كما ذكر محمد عزة دروزة في مذكراته أنه كان حسن السيرة والنية.(17) ولعل هذا ساهم جزئياً في تخفيف حدة العداء للأتراك، إلاّ إنه كان متأخراً، ولم يكن كافياً في ضوء تيار الأحداث الجارف.

مخاتير ووجهاء القرى

اهتمت التقارير الاستخباراتية البريطانية بتوفير المعلومات الضرورية عن مخاتير ووجهاء القرى ومواقفهم المحتملة، وكانت تكتفي بإيراد سطر أو سطرين عن كل شخصية لتكون مرشداً للتعامل معها إذا ما استدعت الحاجة، وخصوصاً في حالة الاحتلال البريطاني للمنطقة. وكان أكثر ما يعني البريطانيين درجة التأييد أو العداء المحتملة، والانطباع الشخصي العام.

وقد ذكر أحد التقارير عدداً من المخاتير والوجهاء الذين اعتبرهم مؤيدين للبريطانيين: الخوري حنا (قرية عيلبون)؛ حمدان الحاج أحمد (قرية باقة) وهو معاد عنيف للأتراك؛ عمر ومحمد الحاج سعيد (قرية بديا)؛ جابر علوي (قرية كفل حارث)؛ إسماعيل سلامة (قرية كفر ثلث)؛ الشيخ صالح عياش (قرية رافات)؛ عبد الرازق داود ومحمد الناشف وعبد القادر الناشف (قرية الطيبة)؛ حسن سعيد (قرية أم الفحم)؛ الشيخ مصطفى شكور (قرية الزاوية)؛ محمد الحاج أسعد (قرية جمّاعين)؛ أبو بكر الموسى (قرية عينبوس)؛ شريف المحمود (قرية جينصافوط)؛ محمد القاسم وإدريس عودة والشيخ عبد الله عبد الحفيظ (قرية كفر قاسم)؛ الشيخ عبد الباقي عبد الحق (قرية زيتا).(18)

وهناك شخصيات وصفت بأنها معادية للأتراك من دون أن يذكر أنها مؤيدة للبريطانيين مثل: عبد العزيز، مختار قرية عرابة؛ موسى أحمد عبد الله (قرية عبوين)؛ حسن العراقي (قرية إماتين)؛ داود حمدان (قرية عرورة)؛ محمد عثمان (قرية عزون)؛ علي عبد الهادي (قرية برقين)؛ يوسف عمران

(قرية بورين)؛ سليمان عبد القادر ومصطفى عبد الهادي (قرية حبلة)؛ صالح جبالي (قرية حارس)؛ مصطفى داود (قرية قراوى بني زيد)؛ أحمد الحمدالله (قرية عنبتا) الذي ذكر أيضاً أنه ذكي بما يكفي لإخفاء كرهه للأتراك، ولذلك ظل مفضَّلاً لدى جمال باشا. وفي منطقة طولكرم ذكر التقرير أن أبرز الشخصيات المعادية للأتراك عبد الرحيم حنون وعبد الرحيم الجيوسي، وفي المقابل ذكر أن عبد الرحيم الحاج إبراهيم مؤيد جداً للأتراك. أمّا في قلقيلية فهناك انقسام بين وجهائها: فالمختار إبراهيم ناصر ومعه محمد الغسان والشيخ يونس وعبد الكريم يوسف ومحمد الشنطي وسعيد الشنطي مؤيدون للأتراك، في حين أن عبد الله صباح وعبد الرحيم صباح وعبد القادر صباح وصالح شاكر مؤيدون للبريطانيين.(19)

وهناك قرى أُخرى كان مخاتيرها ووجهاؤها مؤيدين للأتراك مثل: الشيخ موسى (قرية عتليت)؛ الشيخ صالح (قرية بلوط*)؛ فارس المسعود (قرية برقة)؛ يوسف عبد الجواد (قرية الكفرين)؛ عبد الله أحمد (قرية كفر قرع)؛ الشيخ إبراهيم حمد (قرية اللُّبن)؛ كامل عبد الهادي (قرية سبسطية)؛ الشيخ أحمد المصري (قرية زيتا)؛ إبراهيم عمر العمر (قرية عوريف).(20)

وفي أية حال، عندما أتم البريطانيون احتلال شمال فلسطين، في أواخر أيلول/سبتمبر 1918، ذكرت تقارير الاستخبارات العسكرية البريطانية "أنه على الرغم من أن السكان مصعوقون إلى حد ما بسبب تسارع الأحداث، فإنهم وُدِّيون جداً في كل مكان، وهناك أغلبية كبيرة تشعر بالسعادة بسبب الاحتلال البريطاني، بغض النظر عن معتقدهم أو جنسهم. وقد انتشرت حماسة واسعة بسبب هزيمة الأتراك."(21) ومرة أُخرى نلاحظ خلطاً لا يتسم بالبراءة بين سعادة الناس بانتهاء الحرب، وقرب تحقيق استقلالهم الذي وعدت به بريطانيا، وبين السعادة بالاحتلال نفسه، والذي أثبتت الأيام القليلة التالية له أن لا أساس لها من الصحة. فالخطابات ومذكرات المجاملة والتهنئة للإنكليز – حتى في البدايات الأولى للاحتلال – كانت عادة تتضمن أمرين:

(1) المطالبة بتحقيق الاستقلال؛

(2) التحذير من الموافقة على المشروع الصهيوني، وبيان مخاطره على مستقبل شعب فلسطين.(22)

وخلال بضعة أشهر من بداية الاحتلال، تزايدت حالة المرارة والعداء تجاه بريطانيا، بعد أن بدأ الفلسطينيون يتبينون مدى ارتباطها بالمشروع الصهيوني، ومدى التزامها تعهداتها تجاه فرنسا، وجحودها لتعهداتها للشريف حسين. لذلك حذر عدد من المسؤولين البريطانيين في فلسطين من حالة العداء الشعبي المتزايد، مشيراً إلى إمكان حدوث ثورة خطرة، ومؤكداً أن ليس في وسع أي قوة منتدبة تنفيذ البرنامج الصهيوني إلاّ بالقوة.(23) وأشار أحد التقارير إلى انتشار واسع لدعاية "الجامعة الإسلامية" (Pan-Islam)، وأن العداء للصهيونية يزداد بصورة كبيرة، وأن النشاط اتخذ الآن شكلاً معادياً جداً للبريطانيين.(24) وقد خيب أهل فلسطين آمال بريطانيا في مقابلاتهم مع لجنة كنغ – كرين (King-Crane) في حزيران/يونيو 1919 بشأن تقرير المصير، ورفضوا الانتداب البريطاني، وطالبوا بالاستقلال والوحدة مع إخوانهم العرب.(25)

ومهما يكن من أمر، فإن العرض السابق للمناطق يشير إلى نوع من تداخل المشاعر، وإلى أشكال متباينة من السلوك تجاه العثمانيين والبريطانيين في أجواء وأوضاع غير مستقرة.

ثانياً: العوامل المؤثرة
في مواقف الناس ومشاعرهم

(1) الثورة العربية الكبرى

لا شك في أن الثورة العربية التي أعلنها الشريف حسين بن علي في حزيران/يونيو 1916 كانت أحد العوامل الحاسمة في تحديد موقف الناس من الحكم العثماني، وفي طريقة استقبالهم الاحتلال البريطاني. وإذا تتبعنا مواقف الناس في أثناء الحرب العالمية الأولى، 1914 – 1918، نستطيع أن نلمس فارقاً كبيراً قبل قيام الثورة وبعده. فقد كان الجو العام يتجه نحو تأييد العثمانيين في حربهم ضد بريطانيا وحلفائها. وجرت حملات تعبئة كبيرة داخل فلسطين لدعم العثمانيين، واستُقبل الجيش العثماني بحفاوة كبيرة، وتطوع كثيرون في الحملة العثمانية ضد البريطانيين في مصر، وذهب وفد من علماء بلاد الشام إلى إستنبول لتهنئة العثمانيين بانتصاراتهم في جناق قلعة سنة 1915، وكان بينهم عدد من رجالات شمال فلسطين أمثال أسعد الشقيري وإبراهيم العكي وعبد الرحمن عزيز من عكا، ومحمد مراد وعبد الرحمن الحاج من حيفا، ورفعت تفاحة من نابلس.(26) غير أن إصرار حكومة "الاتحاد والترقي" على استمرار تجاهلها مطالب العرب، وتنكرها لوعودها التي قطعتها، وتعيينها جمال باشا الذي نكّل بكثير من قياداتهم ورموزهم، واستمرارها في سياسة علمنة الدولة، وتغييب الهوية الإسلامية للدولة، كل ذلك أفقد المسلمين من القوميات الأُخرى أهم عناصر وأسباب الحب والولاء للدولة.(27)

وقد شارك العرب في شمال فلسطين، منذ وقت مبكر، في الحركة القومية العربية والجمعيات العربية السرية والعلنية، والتي كان من أبرزها حزب اللامركزية والجمعية العربية الفتاة. وقبضت السلطات العثمانية على عدد من الأعضاء المنتمين إليها وأعدمتهم، أمثال سليم عبد الهادي (من رجالات منطقة نابلس وجنين)، أو سجنتهم مثل سعيد الكرمي مفتي طولكرم.(28) وكان لمنطقة حيفا نشاط بارز في هذا المجال برز فيه نجيب نصار وجميل البحري، على سبيل المثال لا الحصر.(29)

كان تحالف الشريف حسين مع البريطانيين ذا تأثير كبير في قطاعات واسعة من أبناء فلسطين، الذين رأوا في البريطانيين حلفاء يقدمون الدعم في سبيل إنشاء الدولة العربية. وقد اعترفت التقارير البريطانية في تلك الفترة بأنه تم تشجيع مثل هذه المشاعر. فيذكر تقرير لجنة بالين – مثلاً – أن الخيال العربي كان مشتعلاً برؤية إمبراطورية عربية تحت حكم شريف مكة، وأن عرب فلسطين – بمن فيهم المسيحيون – كانوا يحلمون بذلك. ويعترف التقرير بأن النتيجة كانت تحوّل المشاعر عن الأتراك إلى شعور ودي تجاه "الاحتلال البريطاني". ويضيف أن هذا الشعور تم تشجيعه بكل سبل الدعاية الممكنة لوزارة الحرب البريطانية. وذكر أن الانطباع الأولي لدى العرب كان أن البريطانيين يقومون بإنشاء دولة عربية تتضمن فلسطين، وأن سياسة الحلفاء المعلنة، المؤيدة لتقرير المصير للشعوب الصغيرة، شجعت الفلسطينيين على "الظن" أنه سيسمح لهم بالاتحاد مع الدولة العربية الكبرى.(30)

وعلى الرغم من انتشار "شائعات" في فلسطين، في تلك الفترة، عن وعد بلفور لليهود وعن اتفاقية سايكس – بيكو بين فرنسا وبريطانيا، فإن التأكيدات والوعود البريطانية التي استمرت في الصدور

طوال سنة 1918 (والتي كان أبرزها تأكيدات هوغارت (Hogarth) في شباط/فبراير 1918، والتصريح البريطاني للسوريين السبعة في حزيران/يونيو 1916، والتصريح الأنغلو – فرنسي في تشرين الثاني/نوفمبر 1918)، كانت تحمل وعوداً بالحرية والاستقلال وقيام حكومات وطنية وفق رغبات السكان.(31) وقد ساهم ذلك في استمرار حالة التأييد والسلوك الودي تجاه البريطانيين، كما ساهم على الأقل في شل أي استراتيجيا تحرك عربي فعال مضاد للبريطانيين، وتحويل الناس إلى حالة من الترقب بانتظار انتهاء الحرب وتقرير مصير فلسطين.

وتعكس تقارير الاستخبارات البريطانية جانباً من حالة التأييد للثورة العربية الكبرى، فتذكر أن المسلمين في فلسطين أظهروا تعاطفاً كبيراً مع الشريف حسين، وأن الحكومة البريطانية تواصل إبلاغه ذلك، لكن الشريف بقي متحفظاً، خشية الدعاية المعادية.(32) وتنقل التقارير عن عربي مسيحي قُبض عليه في الأول من أيار/مايو 1918، وكان يعمل ضابطاً طبيباً في الجيش العثماني، أن المسلمين العرب متشوقون ليروا استعادة الخلافة العربية.(33) وورد في تقرير مؤرخ 10 أيار/مايو 1918 أن العرب يميلون إلى ملك الحجاز باعتباره رأس دينهم، ويتوقعون أن يقوم بتأليف حكومة عربية في سورية.(34) ونُقل عن عربي من حيفا أُسر في 10 نيسان/أبريل 1918 أن كل الطبقات في حيفا تنتظر البريطانيين بشوق، وأن شريف مكة يتمتع بالشعبية كمدافع عن الحقوق العربية في مواجهة الأتراك.(35) وذكر تقرير آخر أنه "فيما يتعلق بالحركة العربية، فإن العرب في حلب ودمشق وبيروت ونابلس والمناطق المجاورة يرون أن البريطانيين مدينون كثيراً في نجاحهم في فلسطين للمساعدة العربية، وأن العرب كلهم (مع وجود استثناءات قليلة جداً) يشيرون إلى اسم الشريف باحترام، على الرغم من شعورهم بالخوف. إن أفكارهم عن مملكة الحجاز غير واضحة، لكنهم يأملون بأن يأتي الشريف على رأس قوة كبيرة ليحررهم من الظلم التركي."(36)

وتؤكد تقارير الاستخبارات البريطانية وجود حالات هرب واسعة وسط الفلسطينيين من الجيش العثماني، كما تشير إلى انضمام أعداد منهم لا يستهان بها إلى قوات الثورة العربية الكبرى، الأمر الذي يؤكد قوة تأثير هذا العامل في أبناء فلسطين. فتشير التقارير، مثلاً، إلى أن عدد الهاربين من الجندية الذين استقروا في منطقة الخليل بلغ 5000 رجل،(37) وفي منطقة المجدل 2882 هارباً، منهم 791 مقاتلاً،(38) وفي يافا 1947 رجلاً.(39) من ناحية أُخرى، نشط دعاة الثورة العربية الكبرى في تجنيد أبناء فلسطين للانضمام إلى الثورة، وأنشأوا في حزيران/يونيو 1918 مكتباً رسمياً للتطوع بتشجيع بريطاني.(40) وكانت تقارير الاستخبارات البريطانية تشير بين آن وآخر إلى تطور أعداد المنضمين إلى الثورة، فتذكر مثلاً أنه حتى 27 تموز/يوليو 1918 وصل عدد المجندين – في جيش الشريف – في القدس إلى 534 مجنداً.(41) وبحسب ما يشير جورج أنطونيوس فإن عدد المتطوعين في جيش الشريف بلغ 2000 رجل،(42) وهو رقم معقول نسبياً قياساً بالأرقام التي أشارت إليها الاستخبارات البريطانية في مناطق متعددة وفي أوقات متباينة.

من جهة أُخرى، نلاحظ أن أعداداً كبيرة من الهاربين من الجندية فضلت عدم الانضمام الفعلي إلى جيش الشريف، لأسباب مختلفة، منها: الانشغال بتحسين الأحوال المعيشية لعائلاتهم التي كانت تعاني ظروفاً اقتصادية صعبة نتيجة الحرب، وعدم الاطمئنان إلى الوعود البريطانية، والخوف من المشروع الصهيوني. وقد ذكر عدد من المسلمين أنهم "لا يعرفون لماذا يجب أن يقاتلوا كي يعطوا فلسطين لليهود."(43) وذكر المؤرخ الفلسطيني إحسان النمر في شهادته عن لواء نابلس أن كثيرين من الفارين، عندما علموا بوعد بلفور واتفاقية سايكس – بيكو، تطوعوا وسجلوا أنفسهم من جديد

في طابور المجاهدين، "إذْ قَنع الناس بالخطر وأن الترك أخف وطأة من الحلفاء. ولم يكن أثر للثورة العربية يذكر في نابلس."(44)

لذلك ربما نستطيع القول إن الثورة العربية كانت عاملاً مهماً في إضعاف العثمانيين وتحييد أبناء شمال فلسطين، إلاّ إنها لم تكن عاملاً فعالاً في تجنيد أعداد كبيرة منهم، بسبب المخاوف التي كانت تجد صداها لديهم.

(2) العامل الديني

لا يمكن تجاهل العامل الديني لدى السكان في تحديد مواقفهم من العثمانيين والبريطانيين، وخصوصاً أن التدين كان لا يزال عميقاً في النفوس في تلك الفترة. وكنا رأينا أن جانباً كبيراً من تأييد السكان للثورة الكبرى كان على أسس دينية. ويبدو لنا أن العامل الديني استُخدم بصورة فعالة من الطرف المؤيد للعثمانيين، ومن الطرف المؤيد للثورة العربية وحلفائها، وذلك من أجل تأكيد الشرعية وتجميع الأنصار. ولعل ذلك التعارض أدى إلى تعادل تأثير العامل الديني، ولم يكن أمراً حاسماً في كسب المؤيدين عند أي طرف من الأطراف. فبينما لجأ العثمانيون إلى حشد الأنصار على أساس دعم الخلافة الإسلامية وسلطان المسلمين، وحماية بلاد الإسلام من الكفار، لجأ أنصار الثورة العربية إلى الطعن في حقيقة الالتزام الديني لقادة "الاتحاد والترقي" وإبراز انحرافاتهم، والتشديد على أحقية العرب في إقامة الخلافة بقيادة زعيم حزب عربي من السلالة النبوية، وعلى جواز التحالف مع بريطانيا – كما تحالف الأتراك مع الألمان – التي أعطت العهود والمواثيق بإقامة الحكم العربي.

ومن خلال دراسة الوثائق البريطانية يظهر واضحاً أن بريطانيا أدركت قيمة العامل الديني في حربها مع العثمانيين. وقد أشارت الوثائق إلى أن من أبرز أهداف تحالف بريطانيا مع الشريف حسين كان إلغاء التأثير الديني لنداء الجهاد الذي أصدره الخليفة العثماني، وعدم تحويل حرب الدولة العثمانية ضد البريطانيين إلى حرب دينية تؤدي إلى إثارة المسلمين، لا في الدولة العثمانية فقط بل أيضاً في البلاد التي يسيطر عليها الاستعمار البريطاني، مثل مصر والسودان والهند وجنوب الجزيرة العربية. كما أن قيام ثورة عربية بقيادة تتمتع باحترام المسلمين دينياً وتاريخياً سيؤدي إلى كسر الروح المعنوية التركية،(45) ويعطي بريطانيا مسحة من "الصدقية" تظهرها بمظهر الحليف المنقذ لا العدو المحتل.

وتشير الوثائق التي نقوم بدراستها إلى حالة الشد والإرباك التي عاشها أبناء فلسطين في تلك الفترة. فعلى الرغم من وجود نسبة كبيرة مؤيدة للثورة العربية وحلفائها إلاّ إنها كانت تأسف على الكارثة التي يرون أنها ألمّت بالإسلام بسبب هزائم الأتراك في الميدان: "هذا الشعور لم يظهر بفعالية أكثر، ولم يزد عن الأسف، لأنهم يرون أن الحكومة التركية كانت سيئة بصورة مؤسفة إذ إن المصيبة التي حلت بالإسلام تصادفت معها."(46) وتنقل هذه التقارير حالة انزعاج بين الفلسطينيين من الطريقة التي تتم بها الأمور، فينقل تقرير مؤرخ 13 آذار/مارس 1918 أن المسلمين مصابون – إلى حد ما – بخيبة أمل تجاه الطريقة التي تطورت إليها الحركة العربية حتى الآن "لقد توقعوا أن تصبح الحركة العربية حركة مستقلة لخدمة الإسلام على الرغم من دعم بريطانيا العظمى لها. ويظهر أنهم فوجئوا بأن الشريف لم يدخل القدس ولم يصلّ في مسجد عمر [المسجد الأقصى]. لقد بدأوا يشعرون أن إنكلترا حرضت الحركة العربية لمصلحتها الخاصة." ومع ذلك فإن التقرير

يضيف أن "البعض يصرح أنه إذا كانت الخلافة ستمنح للشريف، فإن ذلك سيعوض خسارة المكانة والهيبة التي لحقت بالإسلام."(47)

ويلاحظ بعض التقارير سلوك الناس في بعض الأماكن وفق خلفيات دينية، ففي منطقة رام الله ذكر ضابط الاستخبارات في 19 شباط/فبراير 1918، أن سكانها الذين ترتفع نسبة المسيحيين بينهم يتعاملون بشكل ودي مع البريطانيين، وأنهم راضون تماماً.(48) أمّا بلدة البيرة المجاورة لرام الله فقد لاحظ أن سكانها مسلمون، وأنهم بلا شك مؤيدون للأتراك.(49) وهو ما ينطبق على شمال فلسطين حيث كان هناك حماسة أكبر للبريطانيين والفرنسيين وسط المسيحيين، وتشكلت حلقات تجسس في حيفا اتهمت بالتعامل مع البريطانيين والفرنسيين.(50)

(3) المشروع الصهيوني

يُعدّ المشروع الصهيوني لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين أحد أهم العوامل المحددة لموقف أبناء فلسطين. وبقدر ما كانت هناك آمال كبيرة معلقة على إنشاء مملكة عربية برئاسة الشريف حسين، بقدر ما كانت هناك مخاوف من حقيقة النيات البريطانية وإمكان تسليم فلسطين لليهود.

وكما حرصت السلطات البريطانية على إخفاء نياتها تجاه فلسطين في تلك الفترة، فقد سعت الحركة الصهيونية لسلوك مماثل. وأرسل وايزمن (C. Weizmann) زعيم الحركة الصهيونية، في شباط/فبراير 1918 إلى اللجنة اليهودية في يافا يخبرهم بقدوم البعثة الصهيونية، ويذكر أنها تسعى لتحقيق سبعة أهداف، أحدها المساعدة على إنشاء علاقة صداقة مع العرب والمجتمعات غير اليهودية. وحذر وايزمن في رسالته أن أي احتكاك بين اليهود وغيرهم في فلسطين "سيكون خطراً جداً على خططنا." وقال إن عليكم أن تستخدموا أقصى ما تستطيعون من جهود لمنع حماسة اليهود من أن تؤدي إلى تبني سلوك قد يؤدي بدوره إلى إثارة الخوف والشك بين السكان المحليين.(51)

كان أبناء شمال فلسطين، وخصوصاً منطقة حيفا، من أوائل من تنبهوا للخطر الصهيوني وعملوا بشتى السبل على التحذير منه، ويشهد لنجيب نصار وصحيفته "الكرمل" دورها الريادي في ذلك.(52)

ذكر لاجئ يهودي انتقل من شمال فلسطين إلى الخطوط الأمامية البريطانية أن المسلمين والمسيحيين واليهود يترقبون التحرير البريطاني بشوق، لكنهم مضطرون إلى إخفاء مشاعرهم، وأن الدروز على الرغم من أن الأتراك عاملوهم بشكل تفضيلي عن غيرهم فإنهم لا يزالون يحتفظون بميول قوية تجاه بريطانيا. وقال إن المعاناة المشتركة حسنت العلاقات بين مختلف الأديان والطوائف، لكن أهالي قلقيلية وطولكرم أخذوا يظهرون مؤخراً سلوكاً عدائياً تجاه اليهود، وردّ اللاجئ ذلك إلى الدعاية الصادرة عن المراكز العربية الواقعة تحت الاحتلال البريطاني.(53) وهذا ما يؤكد أن أخبار الأنشطة الصهيونية في المناطق المحتلة في جنوب فلسطين ووسطها كانت تنتقل إلى شمال فلسطين، الأمر الذي يزيد في مخاوف السكان هناك من حقيقة النيات البريطانية.

(4) الدعاية

شكلت الدعاية البريطانية والدعاية العثمانية أحد عناصر التأثير في السكان التي أشارت إليها تقارير الاستخبارات. وقد لجأت السلطات البريطانية إلى وسائل متنوعة لإيصال دعايتها إلى السكان المحليين، راعت فيها الوصول إلى أكبر قدر من المتعلمين وغير المتعلمين. فكانت تصدر ملصقاً (poster) بعنوان "حقيقة"، وتعتبره أفضل طريقة للوصول إلى غير المتعلمين. كما استخدمت الصحافة المصرية الموالية كوسيلة عادية للدعاية، إذ كان لديها اقتناع بأن الدعاية "تحصل على صدقية أكثر إذا ظهرت في الصحافة العادية التي تحصل دائماً على صدقية عظيمة في الشرق." فمثلاً "المقطم" المصرية، المقربة من دار المعتمد البريطاني في مصر، كانت إحدى الوسائل. ولاحظت السلطات أن المتحدثين بالعربية من مسلمين ونصارى يقرأونها بانتباه شديد. أمّا "اللطائف" التي تستخدم الوسائل التوضيحية فإنها – وفق تعبير السلطات – "وسيلة جيدة لنشر دعايتنا العربية بين عدد واسع من العامة." وذُكر أن صحفاً أخرى، مثل "الكوكب" المصرية، و"القبلة" (الصادرة في الحجاز)، يرحب بها المسلمون المتدينون، كما يرحَّب بها في المناطق المهتمة اهتماماً لصيقاً بالحركة العربية.(54) ووفرت السلطات البريطانية أماكن لقراءة الصحف – التي تخدم الدعاية البريطانية – في عدد من المدن، كالقدس ويافا والرملة وبيت لحم وبيت جالا والخليل. ووضعت وسائل دعائية في كل المراكز الحكومية المحلية، وفي عدد من المقاهي ومحلات الحلاقة.(55) ولم يكن من المستغرب أن تتسرب الدعايات البريطانية إلى شمال فلسطين، وخصوصاً أن الطائرات الحربية البريطانية كانت تلقي المناشير على فلسطين، وكان بعضها باسم الشريف حسين. ومما ورد في أحدها: ".. هلموا للانضمام إلينا نحن الذين نجاهد لأجل الدين وحرية العرب حتى تصبح المملكة العربية كما كانت في عهد أسلافكم."(56)

أمّا السلطات العثمانية فقد حاولت من جهتها تحقيق تأثير في الناس من خلال أنصارها. وذكر تقرير للاستخبارات البريطانية – نقلاً عن أحد المثقفين الأرمن الهاربين من الجندية – أنه يمكن تقسيم الدعاية العثمانية قسمين: الأول مبني على الفكرة الإسلامية، والثاني اقتصادي. أمّا الأول، فهو أن العثمانيين يجهدون لإثبات أن دول الحلفاء أخضعت أكثر من 200 مليون مسلم في آسيا وإفريقيا، وأنها لم تكتف بذلك وإنما تريد تدمير الإمبراطورية الإسلامية الوحيدة (الدولة العثمانية)، وأن السلطان هو خليفة المسلمين، وهو ممثل الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن تركيا لا تقاتل من أجل وجودها فقط، بل أيضاً من أجل الخلافة والإسلام. كذلك فإن الألمان حلفاء موثوق بهم للمسلمين، وعلى المسلمين الصادقين كلهم أن يقفوا ويتوحدوا من أجل تركيا وحلفائها. وأمّا القسم الثاني، في الجانب الاقتصادي، فإن العثمانيين يقولون إن العالم خاضع للتأثير الاقتصادي لدول الحلفاء، وإن بريطانيا تقاتل من أجل مصالحها، وترغب في جعل المحيط الهندي بحيرة بريطانية، وإذا حقق الحلفاء ما يريدون فسينتهي الإسلام. ويُذْكَر أن هذه هي الدعاية المعتادة في الأوساط الاجتماعية رفيعة المستوى والمثقفة. أمّا الدعاية وسط الفئات الأدنى من بسطاء وغير متعلمين، فإن الطرح يكون أساسه أن الأوروبيين كلهم، بمن فيهم الألمان، كفار. ومع ذلك فإن القادة الأتراك يقودونهم بصبر للاستفادة من أنشطة المسيحيين الألمان، ويقولون إنهم الآن يستفيدون من هؤلاء الكفار، لكن هذا أمر موقت وبعد الحرب سيكنسون الكفار جميعهم خارج تركيا.(57)

وذكر تقرير أن الدعاية التركية تذكر أن البريطانيين يشجعون الفساد الخلقي في المناطق التي يحتلونها، وأن الشريف حسين مجرد أداة في يد البريطانيين، وأنهم يهينون الإسلام ويدمرون المساجد، وأنهم عينوا حاكماً يهودياً لفلسطين.(58) ونشر الأتراك تقارير عن أن البريطانيين في المناطق المحتلة (سنجق بيت المقدس) يسرقون القمح، ويغتصبون النساء، ويقتلون السجناء. ويخبر

الأتراك السكان أن من الأفضل "إعطاء قمحهم للأتراك الذين هم مسلمون، بدلاً من حفظها للكفار البريطانيين لينهبوها." وقد وجدت هذه التقارير قبولاً لدى السكان.(59)

وتشير التقارير البريطانية إلى أن السلطات العثمانية كان لديها قسم خاص بـ "الخدمات السياسية السرية" في سورية، وأن جمال باشا ينفق على هذا الغرض 24.000 جنيه ذهباً شهرياً، وأن رئيس هذا القسم هو عبد الحميد بك سعيد من مصر. وأن عناصر هذه الخدمة هم بصورة رئيسية من المصريين، بالإضافة إلى قلة من الطرابلسيين (ليبيا) والكريتيين والتونسيين واليهود والسوريين العرب. أمّا سبب تفضيل المصريين ومواطني شمال إفريقيا فهو لأنهم غربـاء في سـورية، وليس لهم أعداء، وغير متحزبين.(60)

في أواخر شباط/فبراير 1918، انتشرت في يافا شائعة فحواها أن أنور باشا أمر بإرسال علم الرسول، صلى الله عليه وسلم، من إستنبول في جولة في سورية للتأثير في السكان العرب "من أجل القيام بواجبهم تجاه دينهم، ولإحياء فكرة الحرب المقدسة."(61)

وهكذا فإن الطرفين العثماني والبريطاني وأنصارهما حاولوا شد الناس إليهم. ونلاحظ أن حالة تنازع الناس بين الطرفين استمرت حتى نهاية الحرب العالمية الأولى.

(5) الأوضاع الاقتصادية

نجد في مواقع كثيرة من التقارير البريطانية ربطاً بين رضا الناس أو انزعاجهم وبين تبدل الأحوال الاقتصادية. على أن الربط الذي تشير التقارير إليه سلباً أو إيجاباً يجب ألاّ يفهم منه أن السكان بنوا تأييدهم للبريطانيين أو العثمانيين على أساس تحسن أحوالهم الاقتصادية أو تراجعها. فمهما تتحسن الأوضاع تحت حكم استعماري يحرِم الناس حرياتهم السياسية وأمانيهم القومية والدينية، فإنه سيظل استعماراً بغيضاً. وهذا ما أثبته العرب في فلسطين فيما بعد، ولا عبرة هنا ببعض الحالات الشاذة المنتفعة من الأوضاع. والمعيار الاقتصادي يأتي هنا تابعاً لقناعات سابقة تجاه العثمانيين أو البريطانيين، فإذا قام البريطانيون – مثلاً – بتحسين بعض الأوضاع فإن ذلك سيرفع من أسهمهم وسط أولئك الذين يرون فيهم حلفاء، والذين يأملون بأن تصدق بريطانيا في تحالفها مع الثورة العربية. بينما سيستغل مؤيدو الحكم العثماني أي تراجع في الأوضاع ليدللوا على صدق رؤاهم وتحليلاتهم، أمّا بسطاء الناس والمترددون فإنهم سيعيشون حالة "حراك" مواقف بين طرف وآخر باختلاف الأوضاع.

أدت ظروف الحرب إلى حصار البريطانيين وحلفائهم للشواطئ العثمانية، الأمر الذي أضعف الإمدادات التموينية للمناطق الواقعة تحت سيطرة العثمانيين. كما اتخذ العثمانيون سياسات اقتصادية تتلاءم وظروف الحرب، مثل التحكم في شراء المحاصيل أو الاستيلاء على ما يحتاجون إليه منها، فضلاً عن تجنيدهم الرجال من سن 17 إلى 50 عاماً، وغير ذلك؛ وهو ما أضعف النشاطات الزراعية والصناعية والتجارية. فمثلاً أشار تقرير إلى أنه تم حصاد كل المحصول تقريباً شرقي قلقيلية (كفر ثلث، عزون، بديا)، وأنه سمح للملاّك بحفظ ما يكفيهم من الحبوب للبذار للعام المقبل، أمّا الباقي فاستولت عليه الحكومة.(62) وأكد ذلك عمر الصالح البرغوثي الذي عاش تلك الفترة، وقال إن الحكومة أخذت تجبي ضرائبها عيناً فتأخذ من الغلال حصتها وتشتري ثلاثة أضعافها، بل أخذت تصادر جميع المحاصيل وعينت لكل فرد من الأهالي مؤونته وبذاره فقط، واحتكرت البقية

"فسئم الزارع وملَّ الصانع وفرغ حانوت التاجر فعمّت الطامة وجلّت المصيبة..."(63) وذكر تقرير، في نيسان/أبريل 1918، أن مسألة توفر الحبوب في الأسابيع المقبلة ستجعل الأتراك أمام امتحان صعب، إذ إن الخيول التركية تأكل الزبيب بسبب نقص الشعير والذرة، وأن السلطات التركية أخذت في العام الماضي 40% من المحصول، وستأخذ في هذا العام من دون شك المحصول بكامله.(64) ونقل تقرير عن لاجئ يهودي كان أمضى في دمشق مدة شهر ونصف شهر قبل أن يغادرها في 27 كانون الثاني/يناير 1918 إلى حيفا حيث أمضى أكثر من شهرين، ثم لجأ بعد ذلك إلى الخطوط البريطانية في نيسان/أبريل 1918، أن الأطعمة مرتفعة السعر لكنها ليست نادرة، وأن الخضروات والفواكه متوفرة بكثرة، والفحم يكاد يكون معدوماً، والبترول نادر، والملابس المدنية غالية جداً ومن نوعية رديئة جداً.(65)

وكان رعي خيول الجيش التركي للمحاصيل، وقطع الأشجار لاستخدام أخشابها وقوداً، يزيدان في معاناة الفلاحين. فقد وصف تقرير عن الأحوال في سلفيت أنها بائسة جداً، وأن المنازل والزروع دمرت وحقول الزيتون أصبحت جرداء تقريباً، وكل هذا بسبب ممارسات الأتراك القاسية.(66) وذكر تقرير أن سكان نابلس فلحوا معظم أرضهم، لكن التوقعات غير جيدة، وأن حيوانات الجيش التركي ترعى في الحقول، وأن الحكومة أفقرت سكان جبل نابلس إذ تمت مصادرة معظم الحبوب.(67) وأشارت عدة تقارير إلى أن المحاصيل واعدة في قرى بديا والزاوية وعزون، لكن يتم إتلافها بالخيول التركية التي يسمح لها برعيها.(68) وتكرر الحديث نفسه بعد ثلاثة أيام عن هذه القرى مع الإشارة إلى قطع أشجارها كلها.(69) وذكر سجين حرب قُبض عليه في 11 أيار/مايو 1918 أن أشجار الزيتون في عنبتا يتم قطعها لاستخدامها وقوداً.(70) ونقلت تقارير الاستخبارات عن أحد اللاجئين أنه في الفترة بين شباط/فبراير وآذار/مارس 1918 تم قطع أشجار الزيتون حول بديا وسنيرية وكفر قاسم وحُمِّلت على الجمال إلى طولكرم لاستخدامها وقوداً للمحركات، ولم يتم قطع الزيتون في حارس وكفل حارث لأنها كانت خارج الخط القانوني؛ وهو مسافة ست ساعات من أقرب سكة حديد.(71) ولا شك في أن مثل هذه الممارسات كان يتسبب باستياء الناس، ويؤثر في مواقفهم تجاه الأتراك.

ويظهر أن مستوى المعيشة ودرجة المعاناة كانا يتفاوتان بين مدينة وأُخرى، وكذلك بين المدن والأرياف، بحسب توفر فرص العمل والخدمات، والمحاصيل والمزروعات، ووجودها في مناطق التماس، أو على خطوط التجارة... وغير ذلك. ففي أيار/مايو 1918، لاحظ تقرير بريطاني انخفاض الأسعار في قلقيلية قياساً بنابلس. فالقمح كان سعره أقل بـ 30% فقط لأن المحصول لم ينضج بعد، والشعير أقل من نصف السعر، أمّا الذرة فكانت تباع بثلث السعر تقريباً. وعزا التقرير السبب إلى إخلاء الأتراك للقرى المجاورة لقلقيلية، الأمر الذي أدى إلى قلة المشترين، وارتفاع ثمن النقل إلى نابلس، وسعي الفلاحين لبيع محاصيلهم فوراً قبل أن يستولي عليها الأتراك.(72) من جهة أُخرى، استفادت مدينة الناصرة من كونها مركز قيادة القوات الألمانية ومن وجود عدد من المستشفيات، الأمر الذي وفر فرص عمل لأبنائها، وخفف من معاناتها مقارنة بغيرها من المدن.(73)

أمّا حيفا، فلم تعان كثيراً في أعوام الحرب الأولى قياساً بغيرها باعتبارها مركزاً تجارياً. ومع ذلك نقل جميل البحري صورة مأساوية للأوضاع الاقتصادية في منطقة حيفا من كثرة الوفيات بسبب الجوع، وكثرة المتسولين، وبيع الناس أثاث منازلهم، بل بيع بيوتهم بأقل الأثمان وأبخسها "بقيم من الدراهم لم تكن لتدرأ عنهم غائلة الجوع أكثر من شهر أو على الأكثر شهرين."(74) كما أشار إلى

المعاناة الاقتصادية في فلسطين عمر الصالح البرغوثي وخليل طوطح(75) وإحسان النمر،(76) وهم ممن عاشوا تلك الفترة إلى جانب جميل البحري. وعكست مذكرات خليل السكاكيني ومحمد عزة دروزة في تلك الفترة الصورة نفسها في المناطق التي كانت لا تزال تحت الحكم العثماني (كان أحدهما يسكن في دمشق، والآخر في بيروت).(77) غير أن دروزة أشار إلى أن الحكومة التركية رتبت منذ أواسط سنة 1917 إعطاء الموظفين الحكوميين مواد تموينية تكفيهم وعائلاتهم بالسعر الورقي، أي بنحو 4% من سعرها في السوق، الأمر الذي خفف كثيراً من معاناتهم.(78)

ومن المهم الإشارة إلى أن ممارسات الأتراك السلبية لم تتسبب بحالة إعراض عام عن الزراعة، إذ تعترف التقارير البريطانية بأن مساحات واسعة من شمال فلسطين زرعت سنة 1918، وأن محاصيل صيف تلك السنة تبشر بإنتاج كبير من القمح والشعير والعدس.(79) وعندما أتم البريطانيون احتلال شمال فلسطين، أشار تقرير استخباراتهم العسكرية إلى أنه لم يحدث ضرر كبير بالنسبة إلى الأفراد والأملاك، فقد كان انسحاب العثمانيين سريعاً، وكان المحصول جيداً، وكان لدى السكان ما يكفي حاجاتهم الحاضرة.(80)

في أية حال، كانت الممارسات السلبية للأتراك تتسبب ببغض الناس المتضررين لهم، لكن من جهة أُخرى كان ما يقوم به البريطانيون في القسم الجنوبي المحتل من فلسطين يغذي مخاوف السكان في شمال فلسطين من الممارسات والسياسات البريطانية المرتقبة. فقد عانى موظفو الحكومة العثمانية السابقين جراء الأوضاع الجديدة، وعبروا عن حالة من عدم الرضا في يافا "حيث أنهم مفلسون تقريباً، والفرصة أمامهم لأي عمل ضعيفة."(81) واعترف تقرير الحاكم العسكري للقدس بتضاؤل شعبية البريطانيين في المدينة في أواخر كانون الثاني/يناير 1918، وعرض لذلك بعض الأسباب أكثرها مرتبط بالأوضاع الاقتصادية، مثل عدم اعتراف السلطات البريطانية بأوراق العملة التركية، والتأخر في قبول الفضة التركية وتثبيت قيمتها، ونقص قطع النقود الصغيرة "الفراطة"، وصعوبة توفير الطعام والتموين.(82) وذكر تقرير آخر من القدس أن المسلمين في المناطق المحتلة (سنجق بيت المقدس) مصابون، بصورة عامة، بخيبة أمل تجاه الإدارة البريطانية بسبب الغلاء الفاحش في تكاليف الحياة، وأشار إلى عدم رضاهم لأن الإدارة البريطانية تطالبهم بمتأخرات الضرائب.(83)

كانت المعاملة الاقتصادية التفضيلية لليهود أحد العناصر المؤثرة في عدم تأييد الناس للبريطانيين. فقد نقل أحد التقارير، في أيار/مايو 1918، أن الشعور العام وسط المسلمين والمسيحيين في يافا هو عدم الرضا عن الحكم البريطاني بسبب ما يعتقدون أنه المعاملة التفضيلية لليهود، وبسبب الدعم الذي قُدِّم لهم، والتسهيلات العظيمة التي حصلوا عليها. ومن ذلك حصول اليهود على إذن في تصدير البضائع، وتفضيلهم في الصفقات لدى الإدارة العسكرية البريطانية، وفي حصص العقود مع الجيش، وفي العمل في إدارات الحكم. كما أنهم مفضلون في توزيع الدقيق، واستئجار الخيول والبغال لأغراض الزراعة.(84)

(6) أجواء الحرب

يمكن اعتبار أجواء الحرب العالمية، التي كانت سائدة سنة 1918، أحد العوامل المؤثرة في موقف الناس في تلك الفترة. فقد كان هؤلاء يعانون حالة عدم استقرار وخوف وفقدان الأمان. إذ كانوا، من جهة، يتعاملون مع الأوضاع باعتبارها موقتة يمكن أن تتغير في أي لحظة سياسياً أو عسكرياً، لمصلحة أي من الطرفين العثماني أو البريطاني. وبالنسبة إلى عامة الناس فإن التصريح بحقيقة

مشاعرهم يعتمد كثيراً على حالة الأمان التي يشعرون بها، ولذلك ربما رغب كثيرون منهم في أن يتركوا وشأنهم إلى أن تنجلي الأمور.

وفي أحيان كثيرة كان سلوك الجنود الأتراك مثاراً لسخط أبناء شمال فلسطين. فقد ذكر سجين حرب قُبض عليه في 10 آذار/مارس 1918، أن الأتراك يعاملون العرب معاملة سيئة، وأن هذا هو سبب هروبهم من الجندية بصورة عامة.(85) وقال لاجئ مسيحي من الناصرة إن الرجال في معظمهم مختفون عن الأنظار خشية أن يأخذهم الأتراك للجندية.(86) ونقلت التقارير عن لاجئ غادر نابلس في 25 آذار/مارس 1918 أن سكان قرية فرخان* تم إجلاؤهم، وأن القرى الموجودة على خط المواجهة نهبت.(87) وذكر لاجئ عربي آخر أن القوات التركية أخلت قرى بير عدس وكفر سابا وجلجولية شمالي نابلس.(88)

وبحسب الاستخبارات البريطانية سعى الأتراك في بعض الأحيان لتبرير ممارساتهم السيئة في شمال فلسطين بأن الاحتلال البريطاني سيكون أسوأ منهم. فقد ذكر تقرير للاستخبارات البريطانية، استقته من مصادر موثوق بها، أنه عندما كان قائد الفرقة 54 التركية معسكِراً في صفورية، أمر بإحضار 2000 كيلوغرام من الطحين والذرة من السكان فوراً، مع أن هذا كان مستحيلاً بالنسبة إليهم بسبب فقرهم. وكإجراء عقابي لعدم طاعتهم سُلِّمت القرية لأكثر من 300 جندي تركي سُمح لهم بارتكاب كل ما يستطيعون من أعمال شنيعة لمدة ثلاثة أيام. وادعى التقرير أن النساء اغتصبن، وسرقت الماشية والقمح. وعندما رفعت الشكاوى كان الجواب أن التصرفات التي قام بها الجنود الأتراك تعتبر بريئة مقارنة بما يفعله الجنود الإنكليز الذين اعتادوا ارتكابها.(89) ولم يتسن لنا التأكد من صحة هذه القصة في المصادر العربية، وليس من المستغرب أن يتضمن قدراً من المبالغة لخدمة الدعاية البريطانية نفسها.

كما انعكست ظروف الحرب على طبيعة المعلومات التي يتلقاها البريطانيون. وكان من الأمثلة لذلك ورود تقارير عن قصص غير صادقة، أو غير كاملة، يدلي بها الهاربون من الجندية عند التحقيق معهم. وقد عللت الاستخبارات ذلك بأنه يعود غالباً إلى الخوف من أن يتم تجنيدهم في الجيش البريطاني، أو أخذهم بعيداً عن عائلاتهم إلى مصر.(90) وعلى هذا، فمن غير المستبعد أن يكون هؤلاء وغيرهم يُسمعون البريطانيين ما يظنون أنه يفرحهم ويسرهم، لا بالضرورة ما يعرّفهم الحقيقة. وهذا ما يجعلنا أكثر حذراً عند تفحّص التقارير البريطانية في تلك الأثناء.

وهكذا، فإن أجواء الحرب تفرض أحياناً مشاعر موقتة في أوضاع موقتة، كما تفرض أحوالاً تتضمن مجاملات ومداراة للسلطات القائمة، وخصوصاً ممن هم مشغولون بهمومهم اليومية.

خاتمة

تزودنا تقارير الاستخبارات العسكرية البريطانية تفصيلات لا نكاد نجدها في أية مصادر أُخرى، وتعين على فهم حقيقة أحوال الناس ومشاعرهم في تلك الفترة. وعلى الرغم من أن هذه التقارير حاولت إظهار تأييد قطاعات كبيرة من الناس للاحتلال البريطاني فإن قرائن كثيرة تثبت أن ذلك التأييد كان مرتبطاً بالتحالف مع الثورة العربية الكبرى، وبالوعود المقطوعة للعرب بإنشاء دولة عربية بزعامة الشريف حسين. وتعكس هذه التقارير قدراً لا يستهان به من التشكيك في نيات

البريطانيين، والعداء المبكر للصهيونية، وتبرز وجود قطاعات أُخرى من الناس تؤيد العثمانيين، وتأسف على ضياع حكمهم، ومستعدة للترحيب بهم إذا عادوا.

ونستطيع أن نرى من دراستنا لهذه التقارير مدى تنازع مشاعر الناس وتداخلها، وحالة الشد المربك بين الطرفين العثماني والبريطاني المتحالف مع الثورة العربية. كما نلاحظ دخول عوامل دينية وقومية واقتصادية، وعوامل مرتبطة بأجواء الحرب والدعاية، في التأثير في مشاعر الناس وسلوكهم تجاه العثمانيين والبريطانيين.

وفي أية حال، فإن الدراسة النقدية لهذه التقارير تفيد في استكمال الصورة التي رسمتها المصادر الأُخرى لمواقف الناس ومشاعرهم.<

(*) أستاذ مشارك، مدير مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات في بيروت.

(*) هكذا في النص الأصلي، ولعل المقصود هو قرية نصف جبيل الواقعة بين نابلس وجنين.

(**) هكذا في النص الأصلي، ولا نعرف قرية فلسطينية بهذا الاسم.

(*) هكذا في النص الأصلي، ولعل المقصود عائلة صيقلي.

(*) هكذا في النص الأصلي، والمقصود على الأرجح قرية دير بلوط إلى الجنوب من قلقيلية.

(*) هكذا في النص الأصلي، والأرجح أن المقصود هو قرية فرخة جنوبي غربي نابلس بالقرب من سلفيت.

المصادر

(1) British Government, "A Brief Record of the Advance of the Egyptian Expeditionary Force," under the Command of General Sir Edmund H.H. Allenby, July 1917 to October 1918 (London: H.M.S.O., 2nd edition, 1919), pp. 2-10.

(2) أنظر: Ibid., pp. 28-34.

(3) كامل خلة، "فلسطين والانتداب البريطاني 1922 – 1939" (طرابلس، ليبيا: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الثانية، 1982)، ص 105 – 106، 177 – 178، 194 – 203.

(4) Doreen Ingrams, Palestine Papers, 1917-1922: Seeds of Conflict (London: John Murray, 1972).

(5) Note on Economical and Political Situation West of the Jordan, [Mar. 1918], report found in W.O.157/725.

(6) Ibid.

(7) Ibid.

(8) Ibid., p. 12.

(9) Ibid., p. 15. أشار التقرير نفسه إلى أن عائلات حماد والغوازي وجرار توصف بمعاداتها للنصارى، من دون أن يذكر أسباب ذلك، ولعله قصد أن معاداة النصارى قد تعني أيضاً معاداة البريطانيين باعتبارهم نصارى.

(10) Ibid., pp. 15-16. كما أكد تقرير آخر أن عائلة عبد الهادي هي الأكثر نفوذاً في منطقة نابلس، أنظر:

Intelligence Summary, 8 Feb. 1918, p. 15, W.O.157/724.

(11) Note on Economical and Political Situation West of the Jordan, report found in W.O.157/725, p. 16.

(12) Ibid., pp. 13-14.

(13) Political, Economic and Financial Intelligence Bulletin, 17 Apr. 1918, p. 18, W.O.157/726.

(14) Political, Economic and Financial Intelligence Bulletin, 12 Mar. 1918, pp. 2-3, W.O.157/725.

(15) إحسان النمر، "تاريخ جبل نابلس والبلقاء" (نابلس ـ فلسطين: مطبعة النصر، 1961)، ج3، ص 143 – 144.

(16) أنظر: خليل السكاكيني، "كذا أنا يا دنيا" (دمشق: الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، الطبعة الثانية، 1982)، ص 134، 139.

(17) أنظر: محمد عزة دروزة، "مائة عام فلسطينية: مذكرات وتسجيلات 1887 – 1984"، ص 280.

(18) Note on Economical and Political Situation West of the Jordan, report found in W.O.157/725.

(19) Ibid.

(20) Ibid.

(21) Intelligence Summary, 26-27 Sep. 1918, pp. 3-5, W.O.157/731.

(22) أنظر مثلاً: "وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية، 1918 – 1939: من أوراق أكرم زعيتر" (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الثانية، 1984)، ص 7 – 8.

(23) أنظر: Tel., Clayton to Foreign Office (F.O.), 26 Mar. 1919, F.O. 371/4153; Tel., Clayton to F.O., 2 May 1919, F.O.371/4180; Tel., H. Watson to F.O., 16 Aug. 1919, F.O.371/4171.

(24) Report by Egypt and Red Sea Station, Intelligence, 14 Nov. 1919, Submitted by Rear Admiral, Egypt, to Admirality, F.O. 371/4238.

(25) أنظر: "وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية"، مصدر سبق ذكره، ص 223 – 231.

(26) أنظر مثلاً في كتابات ومذكرات شخصيات عاصرت تلك الفترة: السكاكيني، مصدر سبق ذكره، ص 84 – 85؛ عجاج نويهض، "رجال من فلسطين، ما بين بداية القرن حتى عام 1948" (بيروت: منشورات فلسطين المحتلة، 1981)، ص 36، 157، 246، 250؛ أحمد الشقيري، "أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية" (بيروت: دار النهار، 1969)، ص 25؛ محمد عزة دروزة، "نشأة الحركة العربية الحديثة: انبعاثها ومظاهرها وسيرها في زمن الدولة العثمانية إلى أوائل الحرب العالمية الأولى" (صيدا – بيروت: المكتبة العصرية، لا تاريخ)، ص 344.

(27) تعرض كثير من الكتابات والدراسات لهذا الأمر، أنظر مثلاً: "ثورة العرب ضد الأتراك: مقدماتها، أسبابها، نتائجها"، بقلم أحد أعضاء الجمعيات السرية العربية، حققه وقدم له: عصام محمد شبارو (بيروت: دار مصباح الفكر، 1987)؛ محمد عزة دروزة، مصدر سبق ذكره، ص 336 – 339، وانظر أيضاً:

George Antonius, The Arab Awakening (Beirut: Lebanon Bookshop, 5th impression, 1969);

بيان الحوت، "القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917 – 1948" (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1981)، ص 24 – 46.

(28) أنظر: نويهض، مصدر سبق ذكره، ص 123 – 125.

(29) مي صيقلي، "حيفا العربية 1918 – 1939" (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1997)، ص 54 – 57.

(30) Report of the Court of Inquiry Convened by Order of his Excellency the High Commissioner and Commander in Chief (Egypt), Dated 12 Apr. 1920, Submitted by the court in 1st Jul. 1920, Secret, p. 7, F.O.371/5121.

لجنة بالين هي لجنة عسكرية عرفت باسم رئيسها اللواء بالين P.C. Palin، وقد شكلها الجنرال أللنبي للتحقيق في انتفاضة موسم النبي موسى التي اندلعت في 4 نيسان/أبريل 1920.

(31) أنظر: الحوت، مصدر سبق ذكره، ص 67 – 74؛ عبد الوهاب الكيالي، "تاريخ فلسطين الحديث" (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة التاسعة، 1990)، ص 73 – 84.

(32) Political Summary for December 1917, secret, W.O.157/722.

(33) Intelligence Summary, 13 May 1918, p. 20, W.O.157/726.

(34) Political and Economic Intelligence Summary, G.H.Q., E.E.F., 10 May 1918, p. 2, W.O.157/727.

(35) Political, Economic and Financial Intelligence Bulletin, 17 Apr. 1918, p. 18, W.O.157/726.

(36) Ibid., 5 May 1918, p. 7, W.O.157/727.

(37) Intelligence Summary, 2 Jan. 1918, p. 3, W.O.157/723.

(38) Ibid., 12 Feb. 1918, p. 17, W.O.157/724.

(39) Ibid., 1 Mar. 1918, p. 2, W.O.157/725.

(40) Ibid., Jun. 1918, W.O.157/728.

(41) Ibid., 24 Jul. 1918, p. 2, W.O.157/729.

(42) Antonius, op. cit., p. 230.

(43) Intelligence Summary, 1 Jun. 1918, p. 1, W.O. 157/728.

(44) النمر، مصدر سبق ذكره، ج3، ص 143 – 144.

(45) أنظر: Summary of Historical Documents from the Outbreak of War between Great Britain and Turkey 1914 to the Outbreak of the Revolt of the Sharif of Mecca in Jun. 1916, prepared by “The Arab Bureau”, Cairo, 29 Nov. 1916, p. 1, W.O.158/624.

أنظر أيضاً: الكيالي، مصدر سبق ذكره، ص 72.

(46) Intelligence Summary, 12 Mar. 1918, p. 33, W.O.157/725.

(47) Ibid., 13 Mar. 1918, p. 33, W.O.157/725.

(48) Intelligence Summary, 19 Feb. 1918, p. 32, W.O.157/724.

(49) Ibid., 27 Fef. 1918, p. 53, W.O.157/724.

(50) أنظر: ألكس كرمل، "تاريخ حيفا في عهد الأتراك العثمانيين" (حيفا: شركة الدراسات العلمية العملية وجامعة حيفا، 1979)، ص 292؛ صيقلي، مصدر سبق ذكره، ص 54.

(51) Intelligence Summary, 16 Feb. 1918, p. 27, W.O.157/724.

(52) أنظر: الكيالي، مصدر سبق ذكره، ص 27 – 30؛ صيقلي، مصدر سبق ذكره، ص 55.

(53) Political, Economic and Financial Intelligence Bulletin, 7 May. 1918, p. 10, W.O.157/727.

(54) Report on Propaganda in Occupied Palestine during the Month of April 1918, p. 1, W.O.157/726.

(55) Ibid., pp. 2-3, W.O.157/726.

(56) "ملف وثائق فلسطين" (القاهرة: الهيئة العامة للاستعلامات، وزارة الإرشاد القومي، 1969)، ج 1، ص 167.

(57) Intelligence Summary, 8 Apr. 1918, pp. 4-5, W.O.157/726.

(58) Political, Economic and Financial Intelligence Bulletin, 1 Sep. 1918, p. 2, W.O.157/731.

(59) Intelligence Summary, 19 Feb. 1918, p. 30, W.O.157/724.

(60) Ibid., 7 Mar. 1918, p. 19, W.O.157/725.

(61) Ibid., 27 Feb. 1918, p. 50, W.O.157/724.

(62) Political, Economic and Financial Intelligence Bulletin, 9 June 1918, p. 8, W.O.157/728.

(63) عمر الصالح البرغوثي وخليل طوطح، "تاريخ فلسطين" (القدس: بولس ووديع سعيد، 1923)، ص 282 – 283.

(64) Political, Economic and Financial Intelligence Bulletin, 16 Apr. 1918, p. 18, W.O.157/726.

(65) Ibid., 20 Apr. 1918, p. 23, W.O.157/726.

(66) Ibid., 11 Apr. 1918, pp. 8-9, W.O.157/726.

(67) Ibid., 20 Apr. 1918, p. 24, W.O.157/726.

(68) Ibid., 22 Apr. 1918, p. 27, W.O.157/726.

(69) Ibid., 25 Apr. 1918, p. 29, W.O.157/726.

(70) Political, Economic and Financial Intelligence Bulletin, 30 May 1918, p. 41, W.O.157/727.

(71) Ibid., 21 June 1918, p. 26, W.O.157/728.

(72) Ibid., 26 May 1918, p. 37, W.O.157/727.

(73) أنظر: جميل البحري، "تاريخ حيفا" (دمشق: الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، 1982)، ص 41؛ بهجت صبري، "فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى وما بعدها، 1914 – 1920" (القدس: جمعية الدراسات العربية، 1982)، ص 137.

(74) البحري، مصدر سبق ذكره، ص 41 - 42.

(75) البرغوثي، مصدر سبق ذكره، ص 283.

(76) النمر، مصدر سبق ذكره، ج3، ص 150.

(77) أنظر: السكاكيني، مصدر سبق ذكره، ص 135، 138؛ دروزة، "مائة عام فلسطينية"، مصدر سبق ذكره، ص 289 – 290.

(78) دروزة، "مائة عام فلسطينية"، مصدر سبق ذكره، ص 288.

(79) Political, Economic and Financial Intelligence Bulletin, 11, 16, 22 and 25 Apr., 24 and 26 May 1918, pp. 8-9, W.O.157/726.

(80) Intelligence Summary, 29 Sep. 1918, p. 3, W.O.157/731.

(81) Ibid., 29 Jan. 1918, p. 19, W.O.157/723.

(82) Ibid., 29 Jan. 1918, p. 20, W.O.157/723.

(83) Ibid., 31 Mar. 1918, p. 56, W.O.157/725.

(84) Ibid., 9 May 1918, p. 13, W.O.157/727.

(85) Ibid.

(86) Political, Economic and Financial Intelligence Bulletin, 5 Aug. 1918, p. 5, W.O.157/730.

(87) Ibid., 5 Apr. 1918, p. 1, W.O.157/726.

(88) Ibid., 26 May 1918, p. 37, W.O.157/727.

(89) Ibid., 20 Mar. 1918, pp. 2-3, W.O.157/725.

(90) Intelligence Summary, 25 Jan. 1918, p. 16, W.O.157/723.